Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

منه لنفسه على ذلك دليلاً. ومقولة ديكارت في هذا مشهورة معروفة: «أنا أفكر، إذن أنا موجود». والإنسان، لأنه به يعقل وجوده، ينتقل بسبب منه من كائنه جسداً إلى كائنه فكراً. فيتعالى، فيجرد، فيبني النظم، ويشترع القوانين، ويطلق العِنان للصور العقلية. ويؤسّس النماذج، ويقيس الغائب على الشاهد، والشاهد على الغائب، إلى آخره.

ـ ثانياً: لأنه به يؤلف بين الموجودات، فيربط بين المدرك حساً والمتصور عقلاً. ولقد يجعل الواحد منهما على مثال الآخر. أو قد يركب بينهما فيخرج منهما إلى كائن على غير مثال. ثم إنه ليتجاوز به حدود المدرك حساً والمتصوّر عقلاً، فينتقل من كائنه المحدود جسداً إلى كائنه غير المحدود خيالاً، ويصير عارفاً.

ولقد كان على هذا مدار الأساطير، والفلسفاتِ والعلوم، والأدب. وإنه لعلى هذا أيضاً كان مدار قيام المجتمعات. ولقد نعلَم أنه لولا ذلك، لفقد الإنسان السيطرة على الذات وعلى الأشياء. ولصار بلا تاريخ ولا معرفة، إلى البهيمية أقرب.

وهكذا نرى أن الإنسان في وجوده يعيش بين لغته وفكره. ولقد يبدو في موقفه هذا أنه يدور بين المطلق والنسبي:

ـ فاللغة إذ تسمي الأشياء، تشكل رؤية مطلقة للعالم.

ـ والفكر إذ يفكر باللغة وبالأشياء يلغي مطلقها، ويجعل المواضعة فيها شرطاً لتسميتها، فيردّها بهذا نسبية بين اللغات.

غير أن ما يبدو متناقضاً من منظور، قد يبدو متكاملاً من منظور آخر. فالمطلق وظيفة، والنسبي وظيفة. وكل وظيفة منهما تضطلع بمهام مخصوصة، بها يكتمل الإنسان وجوداً.